تأثير حلف الناتو على مستقبل النظام الدولي

م. م. عباس فاضل علوان(*)

المقدمة:

يثير موضوع الاحلاف ودورها في النظام الدولي العام أو النظم الإقليمية جدل فكري واسع، كونه يعكس وجود تعاون بين عدة دول لاداء مهام عسكرية معينة، ولا تتعاون الدول عسكريا بصيغة احلاف الا ان وجد هناك توافق في المصالح تجعل الدولة تضم قدراتها العسكرية إلى قدرات غيرها .

وحلف الناتو يعد من بين الاحلاف المهمة التي ظهرت في التاريخ الحديث، اذ انه يسعى عبر القدرات التي انضوت تحته، إلى تحقيق المصالح الغربية عالميا، واليوم وبحكم ان المبررات الاولى التي صاحبت النشأة لم تعد موجودة فان وجوده يعكس وجود تطور في ادراك الدول الاعضاء لاحتياجاتها في ان يكون الحلف الاداة الرئيسية لتحقيق المصالح الغربية.

الاهمية والهدف من البحث:

اتجهت ارادة الدول الاعضاء في حلف الناتو إلى تاكيد بقاءه وتوسيع الحلف ليضم دول أخرى في وسط وشرق أوروبا عام ١٩٩٩، ثم اتجهت ارادة الحلف الى توسيع سقف حضوره عالميا عبر توقيع اتفاقات شراكة مع دول عدة حول العالم ليعكس منظوره لترتيب البيئة التي يمكن ان يتفاعل معها. وهذا الامر يطرح اهمية البحث في موضوع الحلف.

(*)مكتب المفتش العام، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

كما ان استمرار الحلف بحد ذاته مهم كونه يعكس مدى حضور اعضاءه في عملية تشكيل النظام الدولي ليكون اكثر تلائما مع مصالح القوى الغربية التي يتشكل منها الحلف.

اما الاهداف التي يتوخى البحث بلوغها فهي:

١-بيان مدى الترابط الذي يتمتع به حلف الناتو، في ظل اتجاه للتوسع في العضوية ووصول الحلف إلى مستوى ٢٨ دولة عضو مع نهاية العقد الاول من القرن الراهن.

٢-دراسة التأثير الذي يتمتع به الحلف في النظام الدولي.

٣-البحث في مستقبل النظام الدولي في ظل وجود قدرات حلف الناتو.

وفي ضوء هذه الاهمية والاهداف التي يتوخى البحث دراستها والاهتمام بها، ستكون دراسة علاقة تأثير الحلف بالنظام الدولي، واقعة ضمن حدود وهي:

-زمانيا، يتناول البحث مدة زمنية تمتد بين عامي ٢٠٠١- ٢٠٢٥

-مكانيا، والبحث يغطي موضوع يمتد ليشمل الحلف نفسه والنظام الدولي.

-موضوعيا، الاهتمام البحثي هنا يركز على التحالفات ومدى تأثيرها على النظام الدولي، وهو يقع في اطار حقل الدراسات الإستراتيجية.

المشكلة البحثية:

يتعلق البحث بمشكلة مفادها:

ان النظام الدولي يتجه إلى ان يكون اكثر تعددية في قواه الفاعلة بحكم انتشار عوامل القوة، في حين ان الاحلاف ترجع إلى فكرة تجميع قدرات قوى متعددة ليكون لها موقع افضل في علاقات القوى، بمعنى إعادة انتاج علاقات قوى جديدة لصالح منح الدول المتحالفة مركزا افضل، وهذا الامر يثير مسالة مهمة الا وهي: كيف سيكون النظام الدولي في ظل وجود حلف كبير ومهم مثل حلف الناتو؟

ان هذه المشكلة البحثية، تدفعنا إلى ان نركز على ايجاد اجوبة على بعض الاسئلة البحثية وهي:

-كيف ظهر حلف الناتو؟ وكيف تطور؟ ولماذا استمر بعد العام ١٩٩٠؟

-كيف يؤثر الحلف على النظام الدولي ؟ ولماذا؟
-كيف يؤثر الحلف على التوازنات الدولية؟
-كيف يؤثر الحلف على الصراع الدولي؟
-وكيف يتوقع ان يكون تأثيره على النظام الدولي في السنين القادمة؟

الفرضية البحثية:

نتوخى في هذا البحث إثبات صحة الفرضية التالية: ان الناتو يسهم باعادة تشكيل النظام الدولي ويجعله متاثرا بمصالح واهداف القوى الغربية المنضوية فيه بحكم ما تمتلكه من قوة وتأثير في اغلب التفاعلات الدولية.

المنهج البحثي:

ويتعامل البحث مع موضوعه عبر منهج التحليل النظمي.

الهيكلية:

في هذا البحث، تم تقسيم محتواه إلى ثلاثة محاور، فضلا عن مقدمة وخاتمة، وكالآتي:

المحور الاول: التحالف وعلاقات القوة في النظام الدولي

يؤدي التحالف إلى تعديل مهم على علاقات القوة في النظام الدولي، كون الاصل ان كل دولة تمتلك عوامل قوة محددة، على ضوئها تتفاعل مع غيرها في البيئة الدولية، وبحكم اوزان القوة الموجودة بين الدول يظهر النظام الدولي بهرمية محددة. وتؤثر عوامل القوة الموجودة سواء عند الدول بصيغتها المنفردة او بصيغة الاحلاف، بعلاقات الصراع الدولي القائمة، كما تؤثر على التوازنات المتحققة، الا ان لجوء الدول إلى صيغة التحالفات، فهذا يعني امرين:

الاول ان الدول المتحالفة رضت بان تتجمع قدراتها لتصبح اكبر حجما بما يعطي لدول التحالف ميزات نسبية اكثر.

والثاني ان الدول المنضوية بتحالفات تصبح مقيدة في افعالها بالتزامات التحالف، أي انها لن تكون قادرة على تمرير افعال دولية الا بما يخوله لها التحالف الدولي، منعا لتداخل الالتزامات الفردية وتأثيرها على الالتزامات الجمعية للحلف.

وبقصد بيان مدى تأثير التحالفات بشكل عام على علاقات القوة، وبضمنه حلف الناتو، يقتضي الحال تناول النقاط الاتية:

اولا: التحالف: أسباب النشأة والظهور

ثانيا: علاقات القوة في المجتمع الدولي

ثالثا: التحالف وتأثيره على الهرمية والقطبية الدوليين

أولا: التحالف: أسباب النشأة والظهور

لا ترجع فكرة التحالف بين عدة دول إلى عام ١٩٤٩ تاريخ تاسيس حلف الناتو، انما هي فكرة قديمة جدا، تعود إلى كون الإنسان عاجز عن التعامل المنفرد مع كل التحديات التي تواجهه، فيضطر إلى التحالف للتعامل مع: قلة الموارد المتاحة لديه، وكثرة التحديات الموجودة، ورفع معدل الشعور بالامن والطمأنينة التي يشعر بها. ومع اتجاه الحياة الإنسانية إلى التعقد بحكم ظهور الكيانات السياسية: دول المدن، الامارات، الامبراطوريات، الدول، فان الحاجة للتحالف ارتفعت، فالمسالة اصبحت تتعلق بكون الإنسانية التي بنت الكيانات السياسية فيها على فكرة التحالفات، اصبح ما موجود لا يلبي اصل الحاجة، وهو ما دفع إلى ظهور تحالفات جديدة وهي تحالفات بين الكيانات السياسية نفسها، الا ان ما يميز التحالف الاول عن الثاني ان الاول وقع بين بشر والثاني وقع بين كيانات سياسية يقودها بشر، وفي حين ان الاول انشأ كيانات سياسية شبه دائمة (دول)، فان الثاني انشأ تجميع مؤقت للقوة في اطار البيئة التي تتفاعل معها يعطي لاطرافه ميزات، وبهذا ظهرت الاحلاف في العلاقات الدولية[1].

وعلى مدى تاريخها الحديث الممتدة لما بعد معاهدة ويستفاليا لعام ١٦٤٨، تطورت ظاهرة الاحلاف، واصبح يعتد بها في التأثير في العلاقات الدولية، فالاحلاف اصبحت تفيد بكونها علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر، يتعهد فيها اطرافها ببذل المساعدة المتبادلة في حالة نشوب حرب مع اطراف ثالثة، وبهذا الامر فهي مقرونة بوجود عقد أو

1-Margarita I, importance of strategic alliances in company's activity, Vilnius,, Mykolas Romeris University, 2009, pp: 40-41 .
https://www.mruni.eu/upload/iblock/bca/Isoraite.pdf

اتفاق، وتهدف إلى تجميع القدرات لمواجهة موقف طارئ تعرضت له دولة أو اكثر من الدول الموجودة في الحلف[٢].

وتتبع أمر التحالفات وأسباب نشوئها فانه تعطي نظرة مهمة للعلاقات الدولية الا وهي ان الدول تتباين اهتماماتها للعلاقات الدولية، فالبعض منها غير مكترث بممارسة اداء إستراتيجي فاعل انما تركز على تعزيز الرفاهية الداخلية، وأخرى تملك اهتمام مرتفع بالشان الخارجي، وفي الحالتين فان هناك احتكاك من البيئة الدولية بالداخل سواء ما تعلق بالامن الوطني للدولة أو سيادتها أو رفاهيتها أو مواردها،.. وفي الحالتين تظهر بعض الدول مستوى من العزلة عن التدخل الخارجي لتحقيق امنها في مواجهة الغير، ويكون اهتمامها منصب على حفظ الشان الداخلي، أي انها ترفض أية مسؤولية عن أمن الدول الأخرى، وهذا الامر قاد إلى نتائج خطيرة على الامن والسلم العالمي في الحربين العالميتين الاولى والثانية كون بعض الدول اظهرت نزوعا نحو العدوان بشكل غير طبيعي في ظرف لم يتطور وسائل جماعية لوقف العدوان وردعه، وهو ما هيأ لان يتطور مبدأ مهم في العلاقات الدولية الا وهو تطوير نظرية الأمن الجماعي، والذي يفيد ان قدرات الجميع تقف ضد أي حالة اعتداء إلى ان يعاد الواقع القائم لما كل عليه قبل الاعتداء.

وبعد ويستفاليا، ترافق التحالف مع فكرة توازن القوى، الا ان التحالفات التي كانت تظهر كانت مرنة غير ثابتة، تتحرك بموجب رؤية لكيفية حفظ المصالح الوطنية في بيئة معادية وغير مستقرة، ومن ثم رفعت التحالفات من معدلات عدم الاستقرار لانها كانت تثير مسالة عدم اليقين وعدم الثقة في العلاقات الدولية ومن ثم تدفع للصراع اكثر مما تمنعه.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، اتجهت الارادة الدولية إلى امرين: الاول انها ثبتت مسالة الامن الجماعي، والثاني انها سرعان ما نكصت عنه لتنشأ حلفين: الناتو عام

٢-محمد عزيز شكري، الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٧٩، ص ص١١-١٤.

١٩٤٩، ووارشو عام ١٩٥٥، ولم يكن حلف وارشو ردة فعل على الناتو انما كان ردة فعل على ضم الناتو لالمانيا الغربية وتسليحها[٣]. ومنذ عام ١٩٤٩ تطور حلف الناتو، في قدراته، ليكون قادرا على حفظ الامن الأوروبي، واستمر بعد عام ١٩٩١، أي بعد ان تفكك حلف وارشو، ودخلت نقاشات قيادات الحلف بضبابية مرتفعة بشان جدوى بقاء الحلف، واستمر الحال يخضع لنقاشات واسعة بين القوى الأطلسية، حتى انتهى الرأي في مؤتمر واشنطن الأطلسي عام ١٩٩٩ على قبول بقاء الحلف، وتوسيعه، وتغير مهامه[٤]:

١-فاما قبول بقاء الحلف، فان تفكك حلف وارشو لا يفيد بوجوب حل حلف الناتو، لان التاسيس لم يكن مبني على علاقة عقدية بين الحلفين، كما ان عالم ما بعد الحرب الباردة وان سجل انتصارا للدول الغربية الا انه بقي يشهد تحديات متعددة.

٢-واما قبول توسيعه، فان منظومة الامن الأوروبي باتت تحتوي عدة مجموعات، الاولى منظمة ومحمية بقدرات الناتو، والثانية غير محمية باي قدرات وهي اغلب دول وسط أوروبا وشرقها، والثالثة هي روسيا الاتحادية والدول التي تعدها جزء من امنها القومي. ومن ثم فان القرار الذي اتخذ في قمة واشنطن هو التوسع باتجاه الدول التي توجد وسط وشرق أوروبا ويمكن ان تكون فراغ ينعكس سلبا على الامن الأوروبي.

٣-واما تغير المهام، فان الناتو لما تأسس أريد به حفظ امن أوروبا الغربية، الا ان التحديات التي ظهرت بعد عام ١٩٩١ تفيد ان هناك تحديات جديدة تستهدف اغلب دول الناتو، لا ترتبط بالقارة الأوروبية فحسب، ومن ثم فان المهام التي يستوجب التركيز عليها يقتضي الابتعاد عما وضع بداية التاسيس والاتجاه للتعامل مع كل ما يهدد مصالح الحلف حتى وان كانت خارج أوروبا.

---

3 – عمرو محمد أبو الفضل، التحالفات الدولية في ظل القطب الواحد و الشرعية الدولية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨، ص ص٢٣-٢٦.

4-The reader's guide to the nato summit in Washington ،Brussels, Belgium, NATO, April 1999, pp: 11- 13 .http://www.nato.int/docu/rdr-gde/rdrgde-e.pdf

ثم طرأ تحول آخر بدأ بعام ٢٠٠١، أي مع حدوث احداث ١١ ايلول في الولايات المتحدة للتهيئة لعالم ما بعد المرحلة الانتقالية، أي ما بعد انتهاء الحرب الباردة، وهو عالم بدأ يعد له مجموعة صغيرة داخل الولايات المتحدة سميت مشروع القرن الأمريكي أو ما يعرفون بالمحافظين الجدد منذ عام ١٩٩٧ [٥]، وفيها استطاعوا ان يدخلوا الولايات المتحدة في رؤية ان هناك تحديات غير منظورة ويصعب تحديدها الا وهي الارهاب تستلزم ان تنفق عليها الولايات المتحدة في الدفاع بمعدلات مرتفعة، وان تتبع إستراتيجيات تقوم على التدخل بشكل مرتفع في النظام الدولي، وبالفعل ما ان حددت الولايات المتحدة المتسبب بتلك الاحداث حتى اعلن الحلف انه في تضامن تام مع الولايات المتحدة، وان الامن الجماعي بين دول الحلف تجعل ذلك الاعتداء انما هو اعتداء على كافة الدول الاعضاء[٦]. وبعد مرحلة قصيرة بين عامي ٢٠٠١– ٢٠٠٢ سرعان ما حدث خلاف داخل الحلف بشان مبررات الولايات المتحدة لغزو العراق كونه لم تظهر علاقة بين العراق واحداث ١١ ايلول، وانتهت اغلب دول الحلف إلى انه لا توجد مبررات قابلة لانخراط الناتو في عملية الغزو المتوقعة، وكان ابرز المعارضين بها هو فرنسا والمانيا، وهو ما اجبر الولايات المتحدة إلى الاقدام على وسيلة أخرى الا وهي

٥–مجموعة القرن الأمريكي ظهرت عام ١٩٩٧، من مجموعة من كبار السياسيين والعسكريين وذوو النفوذ في الولايات المتحدة،

ابرز زعاماته وليام كريستول وروبرت كايغان وغيرهم، وكان يسمى (بيت خبرة للسياسة العامة) في عام ١٩٩٧ قبل تغير اسمه عام ١٩٩٨، وتم حله عام ٢٠٠٦، ونظمت المجموعة نفسها للضغط على الادارة الأمريكية لتغير طريقة تعاملها مع الاحداث الدولية، واستخدام لغة القوة، واستثمار الفرصة في النظام الدولي من اجل ان تتربع الولايات المتحدة على قمة الهرم الدولي بلا منازع. ينظر مثلا: منتصر غازي الصواف، تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه سوريا ما بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم، جامعة الشرق الاوسط، عمان، ٢٠١٣، ص ص١٨–٢١. وأيضا:

Thomas Donnelly, Rebuilding America's defenses ،Strategy, Forces and Resources For a New Century, A Report of The Project for the New American Century , Washington, the New American Century, September ،٢٠٠٠ pp: 2-4.
http://www.informationclearinghouse.info

٦–طارق بادي الطراونة، دور حلف شمال الأطلسي في استقرار دول البلقان، ١٩٨٩– ٢٠١١، رسالة ماجستير، عمان، جامعة الشرق الاوسط، كلية الاداب والعلوم، ٢٠١٢، ص ص٨٣–٨٩.

انشاء تحالف الراغبين (مؤقت)، وحققت به هدفها، ثم عمدت إلى تثبيت حدث الاحتلال بالقرار الاممي ١٥٤٨ في ايار ٢٠٠٣، وسعت إلى الدخول بالمرحلة الثانية في التحولات التي طرأت على حلف الناتو الا وهي التغير في وسائل الناتو وخلق ارضية إستراتيجية لكي يكون طرفا موجودا في علاقات القوة والصراع الدوليين، وهو ما تم في مؤتمر اسطنبول الأطلسي عام ٢٠٠٤، وفيه تم تسوية تبعات احتلال العراق على علاقات الناتو، وتم فيه ابتداع آلية ان الناتو يدخل بعلاقات شراكة مع دول في اقاليم متعددة: وسط اسيا والشرق الاوسط، والمغرب العربي، بما يؤمن له بيئة امنية قادر لان يتحرك في ضوئها ضمن حيز مرونة واسع جدا يتلائم وأي حالة صراع يمكن ان يدخلها الحلف مستقبلا[٧].

ثانيا: علاقات القوة في المجتمع الدولي: واقعية النظام الدولي

ويرتبط التحالف بموضوع علاقات القوة، والاخير هو موضوع يتعلق بواقعية النظام الدولي والعلاقات الموجودة فيه.

ان النظام الدولي تصارعته مدارس فكرية متعددة، على المدى الذي نشأ فيه وتطور، اذ يلاحظ[٨]:

١-بدأ النظام ينشأ اعتمادا على فكرة الواقعية، أي ان حقائق علاقات القوة تفرض نفسها في النظام الدولي، والفلسفة الاساسية التي استطاع النظام ان يطورها لحفظه في ظل الواقعية هي منظومة توازن القوى.

٢-ثم تطور النظام تحت مخاطر الاستمرار بتوازن القوى والواقعية ليطور المنهج المثالي، الذي يرى ان الدول عليها ان تلتزم بالقانون وبسمو اخلاقي، وان يكون خيار القوة خيار أخير في تسوية المنازعات الدولية، وطور ضمنه اساليب التحكيم والتسوية وقواعد قانونية عرفية، واتفاقات ثنائية ومتعددة الاطراف واسلوب المؤتمرات الدولية،..

٧-محمد حسون، إستراتيجية حلف الناتو الشرق اوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد ١، جامعة دمشق، ٢٠٠٩، ص ص٥١٥-٥١٨.

8-Claudio Cioffi-Revilla, Origins of the International System, Fairfax, VA, Center for Social Complexity George Mason University، ٢٠٠٥، pp: 3-5.

٣-ثم طورت الدول اسلوب الامن الجماعي، ومفاده ان الكل لوقف العدوان على طرف في النظام الدولي، ورغم التلكؤ الحاصل في هذا الاسلوب في ميثاق عصبة الامم الا انه اعيد وطور في ميثاق الامم المتحدة.

٤-اسلوب التكامل أو المنهج الوظيفي، وفيه تم ابتكار طريقة ان التعاون بين الدول انما هو المنهج الافضل في ادارة العلاقات الدولية.

واليوم يوجد رؤى عديدة متفرعة من الرؤى اعلاه في التعامل مع القضايا والدول في النظام الدولي، الا انه يبقى اكثرها تماسكا هو الرؤية الواقعية وما استجد عليها: الواقعية الجديدة، والتي تفيد ان حقائق علاقات القوة هي من يحكم واقع ومستقبل النظام الدولي. ما يهم هنا، ان حلف الناتو في اطار الرؤية اعلاه ما هو الا تجميع لعوامل قوة دول عدة تحقق ميزات مهمة في علاقات القوة لدول الحلف، اتفقت اطرافه الى انها لن يمكنها ان تحقق ميزة في العلاقات الدولية الا عبر التحالف الدائم، مستندين الى ارث حضاري وثقافي وتقارب سياسي والتقاء مصلحي مما جعله اوثق التحالفات الدولية واكثرها استمرارية.

ان الحلف انشأ كما اشرنا في عام ١٩٤٩ في محاولة لكي تتمتع الدول اعضاء بمرونة نسبية في علاقات القوة في الصراع مع الاتحاد السوفيتي، ثم استطاع الحلف ان يضع له بناء مؤسسي وفكري، ويرصد له الامكانات ويضع له الإستراتيجيات التي تعينه على ادارة أي حالة صراع بمرونة واسعة، فالحلف مهيأ لان يتعامل مع مخاطر كونية وحروب عالمية. والنظام الدولي بعد الحرب الباردة شهد خروج روسيا من المنافسة مرحليا، واتجاه الصين إلى عدم الصدام مع القطب المهيمن الا وهو الولايات المتحدة، وهو ما جعل النظام الدولي يعيش مرحلة هي اقرب إلى القطبية الاحادية القطبية بالنسبة للولايات المتحدة وفراغ قوة بالنسبة لغيرها، أي انه يكون اقرب إلى وجود عالم بلا حالة تنافس سياسي وامني جدية، في حين ان التنافس الاقتصادي وجد له فسحة وحرية اكبر خصوصا بين الولايات المتحدة وأوروبا واليابان. لكن هذه المرحلة لم تطل، اذ سرعان ما بدأت تظهر على الولايات المتحدة مواطن للضعف، وهو ما جعل الحلف

يتجه لتجديد نفسه، وليكون عامل قوة ليس في رصيد الولايات المتحدة فحسب انما يكون عامل قوة في رصيد كل الدول الاعضاء.

ومع نهاية القرن الماضي، اتجهت الولايات المتحدة وعبر حلف الناتو إلى تطوير قدراتها واستراتيجياتها لكي تبقي الخلل في علاقات القوة لصالحها، وكان من اهم مضامينها: تاكيد بقاء وتطور حلف الناتو، دعم الخيارات العسكرية عالميا، وتصميم مبادرة الدرع الصاروخي، في محاولة لتاكيد ان الخلل في علاقات القوة بين الحلف وباقي المنافسين غير قابل لان يصحح، ورافقه انفاق دفاعي مرتفع، بعبارة أخرى ان الحلف اكد ان علاقات القوة ما زالت قائمة ولها اولوية على باقي الاساليب والمناهج الأخرى في العلاقات الدولية، ثم تاكد هذا الخيار في اعقاب احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ عندما سرعت كل دول الناتو من انفاقها الدفاعي ليبلغ نحو ٥٨٥.١ مليار دولار عام ٢٠٠٢، من مجموع انفاق عالمي كلي بلغ نحو ٨٥١.٤ مليار دولار، ويصعد ليبلغ نحو ٧٧٩.٤ مليار دولار عام ٢٠٠٥، من مجموع انفاق عالمي كلي بلغ نحو ١١١٨.٦ مليار دولار [٩]، وهو بهذا اشر ان الناتو اتجه إلى ان يكون القوة الاكبر، مع حضور:

١-انتشار يتسع بضم دول جديدة للحلف، اذ انضمت اليه التشيك والمجر وبولندا عام ١٩٩٩، وبلغاريا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا عام ٢٠٠٤، والبانيا وكرواتيا عام ٢٠٠٩ [١٠].

٢-واتمام تجهيز الناتو بهياكل تنظيمية وقيادة وقدرات تجعله قادرا على ادارة الحروب الحديثة بمرونة تتفق مع متطلبات ادارة الحروب المعاصرة، حيث خضع الحلف لاعادة هيكلة وفرض على اعضاءه نشر وادامة اجزاء اكبر من قواتها وبتبني تخطيط دفاعي طويل المدى، وان تكون ٨% من قوات كل دولة قابلة للاستخدام لمهمات خارجية

٩-التسلح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٦، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ص٤٩٢-٤٩٣.

١٠-اثير ناظم عبد الواحد الجاسور، مواقف الدول الكبرى من عملية توسيع حلف شمال الأطلسي شرقاً، مجلة السياسية والدولية، العدد ١١، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩، ص١١١ وما بعدها.

تتبع الناتو[١١]، واليوم، اكبر الجيوش العاملة ضمن الناتو هي الولايات المتحدة بقدرة بشرية كلية تقدر بنحو ١.٣ مليون جندي، ثم تركيا بنحو ٦١٢ الف جندي، ثم فرنسا ب ٢٢٢ الف جندي ثم بريطانيا بنحو ٢٠٥ الف جندي، ثم تاتي باقي الدول الأخرى، وبهذا يكون للناتو قدرات عسكرية كبيرة ويمكنه استخدامها متى طلب الحلف ذلك[١٢].

٣-وإستراتيجيات متعددة تتيح التدخل كلما وجدت مصلحة للناتو، فالناتو بعد مؤتمر واشنطن عام ١٩٩٩ اتجه لان يغير من طبيعة مهامه نحو جعلها الدفاع عن مصالح الاعضاء، وربما يكون مجال الدفاع غير مرتبط بالقارة الأوروبية[١٣].

ومع العقد الاول من القرن الراهن، اتجه الحلف إلى تثبيت بعض البيئات الامنية المهمة له، ومنها عمله الجاد لتثبيت الأمن في القارة الأوروبية من خلال مؤتمر الامن والدفاع الأوروبي. فضلا عن اطار الشراكة الجامع بين روسيا والحلف منذ عام ١٩٩٦، وغيرها من برامج تعطي تصور عن كون الحلف يهيئ نفسه لمرحلة صراع عالمي يمكن ان تنشب في حالة اخفاق المنهج التعاوني في تاكيد المركز القيادي للقوى الغربية في ادارة النظام الدولي[١٤].

ثالثا: التحالف وتأثيره على الهرمية والقطبية الدوليين

---

11 -Yves Boyer, Can and should Europe bridge the capabilities gap?, NATO, Capabilities, capabilities, capabilities, 2011, pp.١٥-١٢ :

12-Sonia Lucarelli, peace and democracy, the rediscovered link, The EU, NATO and the European System of Liberal-Democratic Security Communities, Firenze , European University Institute, 2007, pp: 19-23.

13 -M. Panizzi, NATO Military Public Affairs Policy ،Brussels., NATO, February 2011, pp: 11-13.

١٤-عبد الوهاب بن خليف، العلاقات الاوروبية –الروسية والعمق الاستراتيجي المتبادل، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ١١، جامعة الجزائر،، جانفي ٢٠١٤، ص ص٩٣-٩٥. وأيضا: تييري ميسان،الاستراتيجية الروسية ضد حلف شمال الأطلسي، شبكة فولتير، العدد ١١، دمشق، كانون الاول ٢٠١٤، http://www.voltairenet.org/article

ان المسالة المهمة المرتبطة بالنظام الدولي هي مسالة الهرمية والقطبية الدولية، وتعني الهرمية الدولية بوجود هرم يجمع الدول في النظام الدولي، تقع في قاعدته الدول الاقل في امكاناتها وفي تأثيرها، وتقع في قمته الدول الاكبر في امكاناتها وتأثيرها[١٥]، والهرم هنا نسبي وليس مطلق، كون امكانات القوة وتأثيرها نسبي يتفاوت بين دولة وأخرى، الا ان التباين في التقدير لا يمكن ان يكون واسع، فالمعروف ان مؤشرات التقييم هنا هي:

١-عوامل القوة التقليدية، وهي القابلة لان تكون موضع ملاحظة، من قبيل: موقع الارض والمساحة وعدد السكان وخصائصهم وحجم الناتج القومي وحجم التجارة وحجم الانفاق العسكري وعدد الاسلحة الموجودة[١٦].

٢-عوامل القوة غير التقليدية، وهي عوامل القوة المستحدثة من قبيل امتلاك التكنولوجيا والقدرة على التأثير الاعلامي، وامتلاك التفوق في المجال المعلوماتي، وامتلاك قدرة القيادة،..[١٧].

٣-والتحالفات التي تضيف لقدرات الدولة عوامل قوة جديدة، فهي رغم ما تفرضه على الدولة من التزامات، الا انها بالوقت نفسه تتيح للدولة مجال حركة واسع، ويجعلها بفضل جهود جمعية قادرة على ان تكون بموقع افضل في المساومة وفي وضع شروطها في البيئة التي تتعامل معها، وان تبتعد الدول عن العدائية في التفاعل معها[١٨].

---

15 -Stewart Patrick, World Order: What, Exactly, are the Rules?, The Washington Quarterly, no. 1, vol. 39, Washington, Elliott School of International Affairs, spring 2015, pp: 56-59.

١٦-جلين بالمر، كليفتون مورجان، نظرية السياسة الخارجية، ترجمة عبد السلام علي نوير، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠١١، ص ص٢١٨-٢٢٥.

١٧-خالد وليد محمود، الهجمات عبر الانترنت، ساحة الصراع الالكتروني الجديدة، الدوحة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣، ص ص٧-٩. وأيضا: أحمد عز الدين، نحن والعالم والإستراتيجيات البديلة: تخطيط السياسة الخارجية من منظور الأمن القومي، في: ١١ كانون الاول ٢٠١٥.
http://ahmedezzeldin.com/subject.

١٨- عبد الناصر جندلي، النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة المفكر، العدد ٥، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠٠٨،

مع ذلك، فان المسالة التي تبقى محل تقدير انه كلما كانت عوامل قوة الدولة اكبر كلما كان ذلك دالة على ان الدولة ستكون بموقع افضل في الهرمية الدولية. والمعروف عن الهرمية الدولية انها لا ترتبط بوجود ايديلوجية محددة تعتنقها القوى المختلفة انما هي تعتمد على ترتيب الدول في عوامل القوة الموجودة، لهذا يقال ان الولايات المتحدة على قمة الهرم الدولي وستبقى لعدة عقود قادمة ان بقي حلف الناتو يدعمها. في حين ان القطبية تفيد بمدى تراكم القوة بين الدول وهل يمكن ان يظهر في النظام الدولي تركز إلى مستوى يسمح بالقول ان دولة واحدة أو دولتين أو اكثر قليلا تمتلك اغلب عوامل القوة في النظام الدولي.

والعالم شهد انواع مختلفة من القطبية عبر تاريخه، فهو شهد الاحادية القطبية مثل احادية بريطانيا لفترات مختلفة، ثم احادية الولايات المتحدة في العقد الاخير من القرن الماضي، ثم هناك القطبية الثنائية التي شهدها النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، ثم هناك التعددية القطبية في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين. والعالم لم يشهد مرحلة متقدمة في انتشار عوامل القوة لليوم الا وهي مرحلة الفوضى أو التعدد غير القابل للحصر لانتشار عوامل القوة، وهو امر ممكن ان يظهر في العقود القليلة القادمة ان استمر اتجاه انتشار عوامل القوة القائم حاليا[١٩].

واليوم يعيش النظام الدولي مرحلة متقدمة من انتشار عوامل القوة، ومن ثم فهو يعيش مرحلة متقدمة من التعددية في القوى القطبية الموجودة في النظام الدولي، كما يتجه النظام الدولي إلى اعلاء شان وجود علاقات القوة على صعيد النظم الإقليمية اكثر منه على صعيد النظام الدولي ككل، صحيح ان عوامل القوة تبقى متفاوتة بين دولة وأخرى بين القوى الكبرى الا ان تقدير أي عوامل القوة هي الاكثر تأثيرا تبقى مسالة نسبية،

ص ص١١٨-١٢١. وأيضا: بانكاج غيماوات، اعادة تعريف الاستراتيجية العالمية، ترجمة معين الامام، الرياض، العبيكان، ٢٠١٠، ص٢١٥ وما بعدها.

١٩-مصطفى علوي، القطب المنفرد: الولايات المتحدة الأمريكية والتغير في هيكل النظام العالمي، القاهرة، ال مركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٥. http://www.acrseg.org/36519

وفي ظل عوامل قوة غير تقليدية وفي ظل الاسلحة النووية فان القوة في كل الاحوال تصبح نسبية[٢٠].

اما التحالفات، فانها تعيد تجميع عوامل القوة، وتضعها في اتجاه أيديولوجي أو فكري محدد، ومن ثم فان التحالف لذاته يكون اقرب إلى قوة تقابل القوى الأخرى، وهو ما يمكن ان نراه في حلف الناتو فهو يعطي الولايات المتحدة بيئة دعم خصبة لمواجهة منافسيها مثل روسيا والصين في النظام الدولي[٢١].

المحور الثاني: مدخلات تأثير الناتو في النظام الدولي

بعد ان بينا ان الناتو انشأ واستمر ككيان جامع للقوى الغربية، وان النظام الدولي محكوم بغلبة نهج الواقعية في ادارة علاقاته، وان النظام يسير نحو التعددية المفرط في القطبية الدولية، فان هذا الامر يطرح تساؤلات متعددة عن كيفية تاثير حلف الناتو فيما سيكون عليه النظام الدولي مستقبلا: فهل يمكن ان يؤثر الناتو في النظام الدولي؟ ان هذا السؤال يطرح احتمالات متعددة في اجابته، بين ان تكون للناتو قدرة تأثير، وبين انكارها، والامر مقترن بما سينتهي اليه النظام الدولي، وبما سينتهي اليه الحلف، وبما ستنتهي اليه قوة القوى الأخرى المنافسة.

وحتى يمكن ان نصل إلى اجابة وافية بهذا الشان، سنناقش مسالتين: ما هي المقدمات التي يمكن ان تجعل الناتو قادرا على التأثير في مستقبل النظام الدولي، وما هي النتائج المتوقعة لوجود تأثير، وكيفية التحقق منه.

٢٠- عيسى احمد الشلبي، الاتجاهات الحديثة في دراسة القوة العسكرية في العلاقات الدولية بعد احداث ١١- ايلول/سبتمبر - ٢٠٠١، مجلة السياسية والدولية، العدد ٢٨ و ٢٩، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥، ص ص٢٦٠ وما بعدها. وأيضا: محمد جميل الشيخلي، مفهوم السيادة الوطنية ومبدأ استخدام القوة في العلاقات الدولية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٢٦، الجامعة المستنصرية،، ٢٠٠٩، ص ص٨٤-٨٦.

٢١-سعد ارزيج ايدام، حلف شمال الأطلسي (دراسة في النشأة والتوسع)، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ٤٧، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ص٢٢٢-٢٢٩.

وفيما يتعلق بالمقدمات أو المدخلات، فانه سوف نشير لهذا الموضوع عبر ثلاث نقاط وهي:

اولا: الناتو والعلاقات الغربية

ثانيا: الناتو والتغير في علاقات القوة في النظام الدولي

ثالثا: المشكلات المصاحبة لعلاقات القوى الاخرى

اولا: الناتو والعلاقات الغربية

يعيش العالم منذ مدة اتجاهات متعددة تدفعه إلى الانقسام إلى انواع واتجاهات متعددة، والامر ليس قرين لحظة اليوم، فبعد الحرب العالمية الثانية انقسم العالم سياسيا إلى : شرقي وغربي، وانقسم اقتصاديا الى: شمال وجنوب، أو الى: متقدم ونامي، الا انه بعد انتهاء الحرب الباردة ظهر اتجاه يدعو إلى تقسيم العالم حضاريا إلى: الغرب والشرق، وهناك من قال الغرب والاخر [٢٢]، وهذا ما يفيد ان الغرب ينظر لنفسه وينظر له الآخرون انه عالم واحد[٢٣].

واذا ما حللنا طبيعة الغرب الذي نتحدث عنه، سنجد اننا نتحدث عن عوامل صناعية واقتصادية وحضارية وثقافية، وجغرافية، فالغرب ما هو الا مجموع الدول الأوروبية والولايات المتحدة وكندا، وهناك من يدخل روسيا بحكم كونها دولة متقدمة وأوروبية، وهناك من يستثنيها لكونها دولة سلافية تتبع الكنيسة الارثوذوكسية وليس الكاثوليكية ولا البروتستانتية[٢٤]. يرافقه ان روسيا نفسها لا تنظر الى نفسها انها جزء من منظومة

٢٢–وهي اطروحة صموئيل هنتنغتون في صراع الحضارات، ينظر: صاموائيل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة محمود خلف ومالك أبو شهيوة، ط٢، القاهرة، مكتبة سطور، ١٩٩٩، ص ص١٢–١٥.

٢٣–مصطفى نعمان احمد، انجراف حلف الشمال الأطلسي، مجلة السياسية والدولية، العدد ١، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ص١٧٤–١٧٩.

٢٤–محمد مجدان، سياسة روسيا الخارجية اليوم، البحث عن دور عالمي مؤثر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٤٣، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦، ص ص٤٤– ٤٦.

غربية انما هي عالم قائم بذاته له ذراعين جغرافيين: اسيوي واوروبي، وعالم حضاري يتمثل ب: السلافية الارثوذوكسية.

هذا الغرب، بهذا الوصف، دخل في علاقات صراع ممتدة اقحمت أوروبا بعدة حروب مدمرة على مدة القرون الاخيرة، ودخلت قواه في صراعات خارج أوروبا، الا انه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، اتجه إلى تقريب وجهات النظر بين دوله، وايجاد اليات لتسوية المنازعات بينها والى تنظيم شان المنافسة في المناطق الأخرى من العالم، بل واتجه إلى انشاء مؤسسات تجمع الدول الغربية، وتقف في مواجهة الدول الأخرى، مثلا مجموعة السبع الكبار G7، وحلف الناتو،.. ويلاحظ مثلا ان انسحاب بريطانيا رافقه دخول الولايات المتحدة في مجالات نفوذ بريطانيا السابقة من غير صراع كما جرى في منطقة الخليج بعد عام ١٩٧٠[٢٥]. اذن، ظهر من بين ما ظهر حلف الناتو، بوصفه اهم مؤسسة جمعت القوى الغربية، ووفر لها غطاء حماية. كما لا ننسى ان الغرب نضج فكرة G-7، صحيح ان احدى قواها ليس غربية وهي اليابان الا انه القوى الأخرى غربية[٢٦].

والواقع، ان الرغبة بتوحيد جهود الغرب لم تات اعتباطية انما هي نتيجة جهود بين الزعامات الغربية، التي ادركت انه بلا هذا التنظيم فان الغرب سيصبح واحد من القوى التقليدية في النظام الدولي وستتفوق عليه أو على اغلب دوله قوى كبرى أخرى، بحكم ان نتائج الحربين العالميتين الاولى والثانية كانت كارثية على الغرب وانتهت الى تراجع مكانة كل من بريطانيا وفرنسا [٢٧]. ويات الناتو في هذا المضمار

---

٢٥ –حسين عبد فياض العامري، أمريكا والخليج العربي في ضوء معطيات القرن العشرين، مجلة السياسية والدولية، العدد ٢٢، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢، ص ٢٠٢ وما بعدها.

٢٦–وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، قمة الدول السبع الصناعية الكبرى ومستقبل العلاقة مع روسيا، الدوحة، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥، ص ص٤–٥.

٢٧ –طالب حسين حافظ، العلاقات الأوروبية–الأمريكية والتحالفات عبر الأطلسي، مجلة الدراسات الدولية، العدد ٥١، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ص١٣٨–١٤٢.

احد الآليات التي يتم الاستعانة بها لينظم جهد الغرب عسكريا وسياسيا، ومن ثم فان أي دولة غربية لا يمكن ان تشعر انها بلا غطاء حماية انما هي تشعر بمجهود قليل تقدمه للحلف، انها غير مستهدفة من قبل أي قوة أخرى في العالم.

كما ان الغطاء العسكري يتبعه بالضرورة الحاجة إلى تنظيم الشان السياسي بين الدول الاعضاء[٢٨]. فالحلف ليس مؤسسة عسكرية فحسب انما هو جهاز يضمن ان تكون المواقف السياسية غير بعيدة عن احتياجات الحلف ومهامه.

اما كيف يؤثر هذا المدخل في النظام الدولي، فطالما ان الناتو ينظم علاقات الغرب، فنحن نتحدث عن تنظيم لعلاقات قوى مجموع ما تملكه نحو: ٦٠% من الانفاق العسكري العالمي، ونحو ٦٠% من القدرة النووية العالمية، ونحو ٧٠% من القدرة الاقتصادية العالمية، وثلاثة مقاعد دائمة في مجلس الامن التابع للامم المتحدة، ولا يمكن قياس مقدرات أخرى ثقافية واعلامية والنفوذ السياسي وغيره، ومن ثم فان النظام الدولي لا يمكن ان يستقر على اتجاه لا يرغب به الغرب، والغرب يمكنه ان يعيد توجيه النظام الدولي بالوجهة التي يريدها او انه لن يندفع بعيدا عما يريده، وطالما ان الغرب منتظم في اطار حلف عام، فالحلف يؤثر في توجيه النظام الدولي.

ثانيا: الناتو والتغير في علاقات القوة في النظام الدولي

ولا يتوقف تاثير الناتو في النظام الدولي على كونه العامل الرئيس الماسك للعلاقات الغربية، انما هناك عامل اخر يتمثل في كون اتجاهات التحول في النظام الدولي تتجه الى ان تبتعد عن كونها متعلقة بعوامل القوة التقليدية: الارض والمساحة الجغرافية وعدد السكان، وتتجه الى التعلق بالعوامل الاقتصادية والمالية والتكنولوجية والاعلامية ونوع الاستراتيجيات المتبعة ونوع القيادات السياسية، والقدرة على ادارة الصراع الدولي بطريقة تتفق ومقتضيات العولمة حيث الاتصالات وتصاعد الاعتمادية وسيادة الاليات

28 -Kristin Archick, and others, NATO and the European Union, CRS Report , No. 24 ،Washington , the Federation of American Scientists, January, 2009, pp: 4-7.

السوق وارتفاع الوعي الانساني،.. ومن ثم فانه يقتضي بيان موقع الناتو من عوامل القوة غير التقليدية.

بعبارة اخرى، انه حتى يمكن بيان تأثير الناتو في علاقات القوة دوليا كمدخل للتأثير في مستقبل النظام الدولي، فهنا لدينا هنا ظاهرتين: التحول في علاقات القوة دوليا، ومكانة الناتو في تحولات علاقات القوة دوليا.

والظاهرتين تدعوان إلى تناول عدة نقاط، وهي:

١-القوة في عصر العولمة والمعلوماتية

٢-الانتشار في عوامل القوة

٣-اوزان القوة في ظل التحالفات

٤-الناتو وما احدثه من تغير في علاقات القوة

١-القوة في عصر العولمة والمعلوماتية

ان القوة هي حاصل العوامل التي تملكها الدولة، هذه الرؤية اعيد النظر بها في عالم اليوم وباتت لا تعطي نفس النتائج التي تم الانطلاق منها والمتعلقة بها، ففي عالم اليوم، وهو عالم تسرع من احداثه وتفاعلاته كل من العولمة والمعلوماتية، في علاقات تفاعل غير مسبوقة مع التكنولوجيا، فانه يظهر لدينا عدة متغيرات فرعية تعيد انتاج القوة، اذ نجد الاتي:

-في عالم اليوم حساب هذا العامل فيه صعوبات، كونه يركز على العوامل غير التقليدية، فالعوامل التقليدية تراجعت في حساب اوزان القوة، وهناك دول تملك موارد ضخمة من ارض ومساحة وعدد سكان وموارد طبيعية الا انها اضعف في مؤشرات عديدة واقل تاثيرا في المجتمع الدولي من قوى اخرى تركز على العوامل غير التقليدية. هذا من جهة

-ومن جهة أخرى ان الدولة ليست اللاعب الوحيد في النظام الدولي، والوحدات من غير الدول: الشركات المختلفة والمنظمات، اصبحت لاعبين دوليين وليس لاعب يتبع دولة ما، والمسالة التي تنطوي على خطورة هنا ان الدول في ظل العوامل قلت

الواجبات المنوطة بها وانحصرت في وظيفتين مهمتين وهما: الدفاع والادارة، وابتعدت عن الاقتصاد وعن التعليم وعن الاستثمار وغيرها، الا ان وظيفة الدفاع برز فيها متغير طارئ بدأ يتطور بسرعة الا وهو متغير الشركات الامنية، والتي تترافق مع كون شركات السلاح الكبرى انما هي شركات خاصة، وهو ما ينبأ باحتمالية ان يناط مهمة الدفاع والقيام بمهام عسكرية الى شركات متعددة الجنسيات تقوم بمهام امنية لمصلحة الدولة التي تطلبها، ومن ثم سيضعف من مكانة الدولة مستقبلا، والمتغير الاخر هو ان هناك اتجاه قوي يدفع الى تحقيق مجتمع عالمي، وهنا نجد ان المحكمة الجنائية الدولية تطوورت، يقابلها تطور منظمة التجارة العالمية،..

-كما ان عقود عدة من تعاملات المناهج التكاملي والوظيفي، انتهت إلى جعل الدول متعشقة بعضها ببعض الاخر، وخاصة من خلال الاستثمارات المتبادلة والجاليات التي توجد في الدول الأخرى، وهي كلها تعيد تشكيل عوامل القوة وحسابها في علاقات الدول، اذ في كثير من الحالات يصعب استخدام القوة بشكل مباشر من غير التسبب بنتائج من الصعب تقدير حجم الكلف التي يترتب عليها لفك اواصر الاعتمادية بين الدول.

كما انه في عصر العولمة والمعلوماتية، فان اغلب عوالم القوة غير التقليدية يمكن ان تنتقل بين الدول بسهولة، وخاصة عوامل القوة المعلوماتية، والاهم من ذلك ان تأثير القوة في ظرف تسوده المعلوماتية هو امر يسير ويمكن جلب تأثير كبير جدا باستخدام عوامل قوة قليلة مثل الاعلام او تعطيل بنية الاتصال والقيادة لدى الطرف الاخر.

وهنا، فان الدول المنظوية في الناتو، تعد من اكثر القوى المحركة للعولمة، ومن ثم فانها تتفاعل ايجابا مع هذا الاتجاه العالمي، وهو ما يجعلها تستفيد من الاتجاهات المرافقة للعولمة على صعد انتشار عوامل القوة، بل انها تبتدع طرق ذكية في استقطاب الكفاءات العالمية لكي تجدد نفسها مستغلة ان اغلب الدول الاخرى تعد طاردة للكفاءات الوطنية.

٢-الانتشار في عوامل القوة

ان عوامل القوة ومنذ عدة عقود بدأت تنساب وتنتشر بين العديد من دول العالم، والامر لا يتعلق بالعوامل التقليدية فهي ثابتة بحكم العوامل الجيوبوليتيكية والجيوإستراتيجية انما الحديث هو عن العوامل غير التقليدية[٢٩]. وهذه العوامل سهل اكتسابها، وسهل انفاذها لانها غير مرتبطة بعوامل القوة التقليدية، مثل المعلوماتية ووسائل الاعلام وغيرهما. واغلب عوامل القوة غير التقليدية تحتاج الى بنية تكنولوجية، والى استثمارات في البحث والتطوير، والى منظومة تعليمية متقدمة، والغرب بشكل عام، ومعه بعض القوى الاخرى مثل اليابان والصين تتجه الى دعم بناء عوامل القوة غير التقليدية. وهذا الامر ينتهي بشكل متزايد الى تحقيق اعادة انتشار لعوامل القوة، ويمكن ان يحدث الانتقال بشكل مرن جدا، مثلا تدفق رؤوس الاموال نحو دولة ما، او خروجها من دولة ما يمكن ان يوقعها بمشكلات اقتصادية لا يمكن معها لها ان تنهض، وايضا ان تتدفق الكفاءات العلمية الى دولة ما بما يساعد على اكتساب معارف وخبرات بكلف بسيطة جدا تتعلق باستقطاب تلك الكفاءات لتكون قوة عمل لازمة لاطلاق بناء في عوامل القوة،..

وهذا الانتشار يتسبب بان تظهر قوى جديدة إلى ميدان التأثير في النظام الدولي العام مثل الهند، أو النظم الإقليمية، وربما يمارس التاثير بلا أي ممارسات للسياسة الخارجية مثل الشركات المتعددة الجنسية. ولكن في الوقت نفسه فان قوى الناتو هي من اكثر الدول التي تستفيد من الانتشار المتحقق في عوامل القوة، فهي مصدر يتدفق له الاستثمارات العالمية، وهي مصدر يتدفق اليه الكفاءات العلمية، وهي مصدر لحركة

---

29 -Thomas G. Weiss, and others, The Rise of Non-State Actors in Global Governance Opportunities and Limitations ،Broomfield, , USA, One Earth Future Foundation, 2013, pp: 5-9.

وأيضا:

Michael Cox, Power Shifts, Economic Change and the Decline of the West?, International Relations, No. 26, London, London School of Economics, 2014, pp: 373-378.

الاعلام،.. ومن ثم فان قوى الناتو تبني فسها في الوقت نفسه الذي تبني القوى الاخرى نفسها على صعيد عوامل القوة غير التقليدية.

٣–اوزان القوة في ظل التحالفات

ان القوى في علاقاتها وتأثيرها، وموضعها من الهرمية والقطبية الدولية انما يقاس امرها وتأثيرها بناءا على عوامل القوة التي تملكها، تقليدية كانت أو غير تقليدية، الا ان الامر يمكن ان يتغير وتصبح علاقات القوة والتأثير تتعرض لضاغط متغير آخر الا وهو متغير التحالفات، فالتحالفات تلعب دورها في اعادة توجيه التأثير وتوجيه مكانة الدولة لكون كل حلف يفرض اسقاطاته على الدولة وواقعها ومكانتها، لان القوة تحسب للكل، وقوة الدولة منفردة تذهب للتحالف كما ان قوة التحالف تات للدولة في اطار علاقات الامن الجماعي للحلف[٣٠]. ومن ثم فان اوزان القوة وتشكيل الهرمية الدولية لا تتعلق بقياس قدرات منفردة انما سيكون لدينا عوامل قوة كبيرة ناشئة من تحالف لدول، والناتو هنا هو حصيلة لقدرات كبرى ومنها قدرات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا، وغيرها، وهو امر يجعل منه اكبر قوة في النظام الدولي ان استطاع ان يبقي قوته وتنظيمه مستمرين في السنين القليلة القادمة.

٤–الناتو وما احدثه من تغير في علاقات القوة

والناتو هو واحد من اهم الاحلاف الحديثة، وميزته انه يضمن وجود قوة جماعية لاعضاءه، وتستخدم في اطار جماعي، واهمية الاحلاف وبضمنها الناتو انها تعد أي اعتداء على أي عضو انما هو اعتداء على الحلف ككل، ومن ثم فان من يخطط لشن اعتداء على قوات او مصالح لدولة عضو بالناتو فانه سيجد نفسه في مواجهة الحلف بكل دوله، وهذا بحد ذاته يشكل عامل ردع فاعل. بل وذهب الحلف وفقا لتعديلات عام ١٩٩٩ على ميثاقه ان مهام الناتو لا تتحدد بأوروبا انما هي تتسع لتشمل حماية مصالح الدول الاعضاء حتى خارج القارة الاوروبية، وهذا الامر فيه توسع في تعريف

٣٠–عدنان السيد حسين، التوسع الأطلسي، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية، ٢٠٠٩، ص ص٣٤–٣٨.

المصالح وفي تحديد امكانية التدخل الى الضد من اي حالة اعتداء يمكن ان تصيب مصالح الدول الاعضاء فيه، وشمول مصادر التهديد خارج القارة الاوروبية يجعل نطاق عمل الحف يتسع ليشمل مساحة جغرافية كبيرة جدا؛ في اوروبا والبحر المتوسط والمحيط الاطلسي وباتجاه القوقاز ووسط وغرب آسيا وجنوبها بعد اتفاقات الشراكة التي تمت بعد العام ٢٠٠٤ مع دول اخرى[٣١]. اي ان جزء من التغير في علاقات القوة عالميا هو ان القوة لا تحسب في اطار الناتو على اساس دولة واحدة فيه انما يؤخذ الحلف كوحدة واحدة.

واذا ما اتينا إلى احتساب قوة الناتو على اساس جزئي، سنلاحظ انه بلغ انفاق دول الناتو في عام ٢٠١٠ نحو ٧٨٠.٤ مليار دولار، قياسا للانفاق العالمي البالغ نحو ١٣٣٠ مليار دولار، ووصل الانفاق في عام ٢٠١٥ إلى نحو ١.٠٢ الف مليار دولار، قياسا للانفاق العالمي البالغ نحو ١.٨١ مليار دولار، وهذا ما يجعله قوة عسكرية عظمى، لاننا هنا نتحدث عما يقارب ال ٦٠% انفاق عسكري للانفاق العسكري العالمي، فضلا عن امتلاك ثلاث دول بالحلف للقوة العسكرية النووية، وامتلاك اغلب باقي الدول لقدرات تكنولوجية نووية تمكنها من امتلاك السلاح النووي بمدة وجيزة ان ارادت ذلك مثل المانيا والسويد وغيرهما[٣٢]. ناهيك بالطبع انه للولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا انتشار عسكري خارج الحدود، وبنية متقدمة للبحث والتطوير.

كما وبلغ عدد سكان دول الحلف نحو ٩٠٦.٢ مليون إنسان، عام ٢٠١٥، واكبر دوله هي الولايات المتحدة (٣١٨.٨ مليون)، ثم المانيا (٨٠.٢ مليون)، ثم تركيا (٧٩.٢ مليون)، في ظل نظام تعليمي واقتصادي وتكنولوجي يهيئ لفاعلية المعرفة في عوامل القوة، فضلا عن استيعاب الكفاءات ورؤوس الاموال الهاربة من الدول الاخرى والباحثة عن الاستقرار والتوطن. اما عدد افراد الجيش المنشورين لكل دول الحلف

31-Report :Strategic Concept For the Defence and Security of The Members of the North Atlantic Treaty Organisation, Active Engagement, Modern Defence ،Brüssel ، NATO, 2013, pp: 4-5.

32 -Ivo H. Daalder, NATO in the 21 st Century, Washington ،Brookings Institution, February, 2009, pp: 54-58.

فبلغ نحو ٣.٥ مليون جندي، منهم نحو ١.٣ مليون من الولايات المتحدة لوحدها فقط، ثم ٦١٢ الف جندي من تركيا؛ وتتعهد كل دول الحلف بنشر ٨% من جيشها لمصلحة مهمات محددة او متعلقة بالناتو حصر يمكن ان ترتفع ان استجدت مبررات تتطلب ذلك[٣٣].

اما من حيث القدرات الاقتصادية، فبلغ الناتج المحلي الاجمالي لدول الحلف نحو ٣٣.٩٨٨ الف مليار دولار عام ٢٠١٥، قياسا بالناتج المحلي العالمي البالغ نحو ٥٠.١ الف مليار دولار، كون الحلف يضم دول كبرى اقتصاديا (الولايات المتحدة بناتج بلغ نحو ١٧.٩ الف مليار دولار، والمانيا بنحو ٣.٩ الف مليار دولار، وبريطانيا بنحو ٣.٢ الف مليار دولار، وفرنسا بنحو ٢.٩ الف مليار دولار،..)، اما حجم التجارة الخارجية لدول الحلف فبلغت نحو ٢٢.٩ الف مليار دولار عام ٢٠١٥ قياسا إلى نحو ٤٣.٧ الف مليار دولار حجم التجارة العالمية الاجمالي[٣٤].

ان القدرات في اعلاه، تؤشر وجود قدرات ضخمة جدا، لا يمكن لاي دولة في العالم ان تصل اليها خلال المستقبل القريب أو المتوسط، فهو حصيلة قدرات ل ٢٦ دولة في أوروبا والولايات المتحدة وكندا، أي اهم القوى الاقتصادية والصناعية في العالم. وهذه القدرات تتفاعل مع العلاقات الدولية كون الدول الاخرى تسعى الى ان لا تدخل في علاقات صراع مع دول الغرب عامة والناتو خاصة، بحكم المكانة التي يتمتع بها الحلف في النظام الدولي.

ثالثا: المشكلات المصاحبة لعلاقات القوى الاخرى

٣٣–شرقي محمود، التوجهات الجديدة لحلف الاطلسي اتجاه دول المغرب العربي، مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد ٨، جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، كانون الثاني، ٢٠١٤، ص ص١١– ١٣. وأيضا:

Ivo Daalder and James Goldgeier, Global NATO, foreign affairs, Volume 85 No.5, Washington, Brookings Institution, September / October ،٢٠١٥ pp: 107-112.

34 -The 2016 Annual Report, Geneva, World Trade Organization, 2016, pp: 14-16.

ان تاثير الناتو في النظام الدولي لا يتوقف على وزن اعضاء في عوامل القوة الى عوامل قوة الدول الاخرى، انما يتفاعل الامر ايجابا مع مسالتين:

١-ان دول الناتو تجد مصلحه في استمراره، فهو يعطيها ميزات نسبية كثيرة في النظام الدولي، وهي تدرك ان الابتعاد عن الناتو سيخلق لها مشكلات فرعية، كون اوروبا مليئة بالتناقضات بين القوى الفاعلة فيها، صحيح ان الاوروبيين طوروا في القرن التاسع عشر آليات لتجنب الصراعات داخلهم وان يكون التنافس بين الدول الاوروبية خارج القارة الا ان الامر لم يصمد واندلعت حربين عالميتين بفعل علو شأن حسابات توازن القوى، وبعدها اتجهت امم اوروبا الى تطوير منهج تكاملي وظيفي انتهى بتشكيل الاتحاد الاوروبي، الا ان هذا الاتحاد اظهرت تجربة نجاح الاستفتاء داخل المملكة المتحدة في شهر حزيران بالتصويت لصالح الانسحاب من الاتحاد، ثم علو اصوات الاحزاب اليمينية التي ترى ان الاتحاد يتعارض مع فكرتها في التركيز على عوامل عنصرية او قومية ضيقة داخل كل دولة كما في اسبانيا وفرنسا وغيرها[٣٥]، نقول اظهرت هذه التحولات احتمالات قوية الى ان الاتحاد سيتعرض لهزات وتفكك اكبر في السنين القادمة. وكلما اتجهت الدول المنضوية فيه الى الانسحاب منه فانها تجعل نفسها في عالم اوروبي تنافسي، ولتعيد اللعبة الى توازنات القوى اكثر منه الى المنهج الوظيفي. وما زال هذا الاتجاه المتوقع حدوثه سببا يدعو اعضاء الناتو الى استمرار رابطة الناتو بوصفها اهم رابطة ضامنة لمنع انفلات مركز دوله في علاقات القوة عالميا.

٢-ان الدول الاخرى لم تظهر رغبة او ارادة على التعامل بندية او بتنافس مع الناتو، فالدول التي لها رغبات او طموحات بان تؤدي ادوار اكبر في مستقبل النظام الدولي، او ان امكاناتها المتوقعة ستؤهلها لان تؤدي هذا الدور هي: الصين وروسيا والهند (والبرازيل وجنوب افريقيا)، والملاحظ ان هذه الدول يجمعها الاتي:

٣٥-تقرير: بريطانيا والاتحاد الأوروبي.. مسارات وأعباء ما بعد الفراق، الجزيرة دراسات، في: ٢٩ حزيران ٢٠١٦. http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeeraspecialprograms

١-انها اسست ما يعرف بتجمع (بريكس)، وهو تجمع اقتصادي-مالي، اريد به الخروج على نتائج مؤسسات برتن وودز لعامي ١٩٤٥-١٩٤٧ التي اسست صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومن ثم حكمت مركزية الغرب في النظام المالي العالمي، صحيح ان التجمع لم يظهر نشاطات سياسية وانه يجمع دول متباينة في توجهاتها وفي علاقاتها مع الغرب الا انه تجمع بحد ذاته يمثل عوامل قوة كبيرة، فالصين ناتجها القومي بلغ نحو ١٠.٣ الف مليار دولار عام ٢٠١٥، وروسيا بلغ نحو ١.٨ الف مليار دولار، والهند بلغ نحو ٢.٣ الف مليار دولار، والبرازيل بنحو ١.٨ الف مليار دولار، وجنوب افريقيا بنحو ١.٦ الف مليار دولار، وحجم تجارتها اجمعين بلغت نحو ٦.٣ الف مليار دولار[٣٦]، والصين وروسيا والهند دول نووية، والصين وروسيا اعضاء دائمين في مجلس الامن، الا ان هذا التجمع يبقى تجمعا هشا غير مؤسسي ارتباط اعضاءه مع الغرب اكثر من ارتباطات دوله بعضهم بالبعض الاخر، واكثر التوقعات المتعلقة به انه يمثل كيان يرغب بممارسة ادوار ويهيئ لبدائل في حالة تراجع مكانة الغرب العالمية.

٢-ان الصين وروسيا مع دول وسط آسيا اسست منظمة شنغهاي، وهي منظمة لها مقاصد سياسية وامنية واقتصادية، الا انها تبقى ايضا منظمة غير فاعلة، لانها لا تستطيع ان تبني منظومة متماسكة، فدولها متجاورة ومختلفة قوميا ولغويا وفكريا، والروابط المصلحية بينها ضعيفة، ولا تعدو ان تكون خيار لتعزيز التعاون الجماعي في منطقة (وسط آسيا) تستشعر الدول الاعضاء انها منطقة غير مستقرة بدرجة عالية[٣٧].

ان احتمالات ان تنمو مكانة القوى الاخرى خارج الناتو هو احتمال وارد، الا انه احتمال يتعلق بنموها كدول فرادى وليس كتحالف، ويبقى هناك سقف مرتفع من التحديات التي تواجه الدول المرشحة لان تنافس الناتو عالميا، فالصين توجد في بيئة غير

٣٦-إجمالي الناتج المحلي، البنك الدولي، في: ٢٢ حزيران ٢٠١٦.
http://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP

٣٧-فهد مزبان خزار ، الأهمية الجيوبولتيكية لمنظمة شنغهاي وأثرها في السياسة الدولية، مجلة اداب البصرة ، العدد ٦٥، جامعة البصرة، ٢٠١٣، ص ص٢١٨ وما بعدها.

مستقرة وفيها الكثير من التنافس (شرق اسيا) [٣٨]، وروسيا تحيط بها الكثير من التحديات في وسط اسيا والقوقاز وشرق اوروبا[٣٩]، اما الهند فرغم نموها المرتفع الا ان التحديات الداخلية مرتفعة جدا المتعلقة بالتماسك الوطني[٤٠].

ان المقدمات السابقة، تجعل الناتو يمتلك مقدمات او مدخلات لاستمرارية تاثيره في مستقبل النظام الدولي، فهو واحد من اهم المدخلات لتغيير علاقات القوة في النظام الدولي، واهم المدخلات لاحداث تأثير في النظام الدولي بشكل عام.

المحور الثالث: مخرجات تأثير الناتو في النظام الدولي

ان المدخلات اعلاه، ستقود إلى جعل الناتو يستمر في ممارسة تأثيره في النظام الدولي في السنين القليلة القادمة.

ان النظام الدولي ما هو الا منظومة تفاعلات بين الوحدات الدولية، تجري وفقا لانساق محددة، تاخذ صيغ الصراع أو التعاون أو التنافس[٤١]، وهذا النظام قد ياخذ صيغة القطبية الاحادية أو الثنائية أو المتعددة أو ربما يتجه إلى عالم بلا قطبية واضحة، ويسوده فيه ظواهر مثل التكامل والتعاون وتوازن القوى، وهو في كل الاحوال يتالف من نظم إقليمية، بعضها يظهر قوة وكثافة في التفاعلات مثل الاتحاد الأوروبي وشرق اسيا، ومنه من لا يزال خاملا أو بتفاعلات محدودة مثل غرب افريقيا والقرن الافريقي وغيرها.

٣٨-علي محمد حسين العامري ، تداعيات الانتشار النووي في اسيا ((كوريا الشمالية انموذجاً))، مجلة السياسية والدولية، العدد ١٨، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١، ص ص٣٧٥-٣٧٩.

39-Tatiana V. Zonova, Russian diplomacy: facing regional challenges, Moscow, MGIMO-University, 2007, pp: 111-112 .http://mgimo.ru/upload/iblock/639

٤٠-تلا عاصم فائق ، الإستراتيجية الأمريكية في إقليم جنوب آسيا))، مجلة السياسية والدولية، العدد ٢٠، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢، ص ص٩٢-٩٤.

٤١- عادل حمزة عثمان، اشكالية التدخل في النظام الدولي الجديد واثرها في العلاقات الدولية الدور الأمريكي انموذجا، مجلة كلية التربية للبنات، العدد ٢٥، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ص٣٦٣-٣٦٥. وأيضا: مروان سالم العلي، النظام الدولي : دراسة نظرية في المفهوم والخصائص واليات التغيير، مجلة الكوفة للعلوم القانونية والسياسية، العدد ١، جامعة الكوفة، ٢٠١٤، ص ص٢٢٠-٢٢٢.

ويمكن بيان تأثير الناتو المحتمل في مستقبل النظام الدولي من خلال دراسة عدة نقاط وهي:

اولا: تأثير الناتو على مستقبل التوازنات الدولية

ثانيا: تأثير الناتو على مستقبل الهرمية الدولية

ثالثا: تأثير الناتو على مستقبل ظاهرة الصراع الدولي

اولا: تأثير الناتو على مستقبل التوازنات الدولية

يعد التوازن الدولي واحد من اكثر الظواهر دينامية في العلاقات الولية، لانه يبنى على افكار اربع متفاعلة: القوة، والثقة، والتسلح، والصراع. وهذه الافكار تظهر دينامية كبيرة في العلاقات الدولية، فمن يملك القوة يدفع الاطراف الأخرى إلى عدم الثقة به، ومن ثم يدفعها للتسلح من اجل استعادة الثقة، ومخرجات التسلح يدفعها إلى الدخول في الصراع، وربما الدخول في حلف وحلف مضاد لحين الوصول إلى توازن مقبول بين الاطراف ذا الصلة، وطالما ان الشعور بان التوازن موجود هو من قبيل الوهم كون عدم الثقة دائما يدفع إلى توقع ان هناك خلل فهو ما يجعل الافكار الاربعة متفاعلة[٤٢]، ومؤشره هو ارتفاع الانفاق العسكري العالمي سنويا حتى قارب ال ١.٨ الف مليار دولار عام ٢٠١٥.

ان النظام الدولي كان قد ابتعد قليلا عن فكرة التوازن بعد الحرب العالمية الثانية ونظم فكرة الامن الجماعي، الا ان الحرب الباردة اعادت الاعتبار لتوازن القوى، وبادغامه بالسلاح النووي اصبح الامر منطوي على توازن الرعب[٤٣] وليس توازن القوى، كون الامر لم يعد قياس أو تقدير ما موجود بين يدي الاطراف الداخلة في التوازن، انما

٤٢–دينا محمد جبر، ابتسام حاتم علوان، الإستراتيجية بين الأصل العسكري والضرورة السياسية وتأثيرها على توازن القوى الدولي، مجلة السياسية والدولية، العدد ٢٠، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢، ص ص٢٨٠–٢٨٥.

43-Keith B. Payne, nuclear deterrence for a new century, the journal of international security affairs, NY, College of International Security Affairs ،fall/winter 2014, pp: 53-55.

اصبحت المسالة ان سلاح نووي واحد يمكن استخدامه يمكنه ان يعيد صياغة حجم الكلف والخسائر من وراء أي حالة صراع أو حرب.

واستمر التوازن مطروح عند المستويات الإقليمية بشكل اكثر حدية منه عند المستويات العالمية، وعند الاخيرة كان هناك اكثر من مبادرة واتفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على خفض التسلح أو نزع سلاح،..[٤٤]. وبعد انتهاء الحرب الباردة تراجع قليلا اعتبارات التوازن حتى مستهل الالفية الجديدة ليبدأ طرح التوازن بوصفه عامل حاضر في العلاقات الدولية، وصار هناك حديث روسي صريح ان برنامج مبادرة الدفاع الأمريكية المعروف باسم الدرع الصاروخي سيحدث خللا في التوازن الإستراتيجي وان روسيا لا ترحب به[٤٥].

واتجاه الولايات المتحدة لادارة عدة ازمات بعد عام ٢٠٠١ ومنها احتلال العراق والفوضى الخلاقة واحداث الربيع العربي واسقاط نظام حكم القذافي في ليبيا عام ٢٠١١ بمساعدة من الناتو، فضلا عن تأثيرات احداث جورجيا ٢٠٠٨ واحداث اوكرانيا ٢٠١٤، كلها كشفت بلا شك ان الولايات المتحدة تتجه لبناء نظام لا يراعي مصالح القوى الأخرى، مما دفع إلى نمو تسلح روسيا التي قفز من نحو ١٢.٢ مليار دولار عام ٢٠٠٠ إلى نحو ٣٤.٥ مليار دولار عام ٢٠٠٥ والى ٤٦.١ مليار دولار عام ٢٠١٠، والى ٩٦.١ مليار دولار عام ٢٠١٥، والامر نفسه ينطبق على الصين التي نمى انفاقها العسكري من نحو ١٣.٢ مليار دولار عام ٢٠٠٠، إلى نحو ١٩.٢

٤٤–سعد حقي توفيق، نزع السلاح بعد الحرب الباردة دراسة نقدية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٣٢، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص٩ وما بعدها. وأيضا: علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان ٤٧–٤٨، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، صيف –خريف ٢٠١٥، ص ص٦٧–٧٢.

٤٥–احمد باسل البستاني، موقف جمهورية روسيا الاتحادية من توسيع حلف شمال الأطلسي، دراسات إقليمية، العدد ٤، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص ص٢٩–٣٥. وأيضا: طارق طيب محمد طيب القصار، الموقف الألماني من مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية، العدد ٨، جامعة تكريت، ٢٠١٠، ص ص٢٢١–٢٢٧.

مليار دولار عام ٢٠٠٥ والى نحو ٥٧.٩ مليار دولار عام ٢٠١٠، والى نحو ١٢٣.٢ مليار دولار عام ٢٠١٥، والانفاق العسكري العالمي نفسه كان قد صعد بمستويات مرتفعة من نحو ١٣٤٠ مليار دولار عام ٢٠١٠ إلى نحو ١٨٢٠ مليار دولار عام ٢٠١٥[٤٦].

واليوم حلف الناتو يشكل قوة عسكرية عظمى صحيح ان اغلب الدول الاوروبية هي قوى صغيرة بمتوسط انفاقها الدفاعي وبعدد سكانها، الا انها كمحصلة مع باقي الدول الاعضاء في الناتو تشكل قوة عسكرية عظمى، والاهم فيه انه منذ عام ٢٠٠٤ بدا الناتو ينفتح على برامج للشراكة الإستراتيجية مع باكستان ومع دول مجلس التعاون الخليجي ومع مصر والاردن ودول المغرب العربي ومع بلدان غرب افريقيا ومع دول في القوقاز واسيا الوسطى، وبرامج الشراكة تتيح للحلف ان ينشر قواته فيها، وان يقدم على تعاون عسكري وامني وتدريبي وتسليحي ومعلوماتي مع تلك البلدان، وان يكون هناك برامج لتقديم المساعدة المتبادلة معها، فضلا عن امكانية استخدام الحلف لاجواء ومياه واراضي تلك البلدان بشكل محدود في حالات يتم الاتفاق عليها بين الاطراف ذات الصلة، فضلا عن التدريب المشترك..[٤٧]. وهذا الامر بحد ذاته يفيد بمضاعفة قدرات الناتو، والدعم الذي يحصل عليه وحدود المناورة في مسرح عالمي واسع.

ومن كل ما تقدم، فان الحلف يؤشر بحكم امكاناته انه قوة تؤثر على التوازن الدولي، وانه لا يمكن لأي دولة أخرى في العالم ان تصل إلى مستوى ما يملكه الحلف.

٤٦-ينظر: واثق محمد براك، التنافس الأمريكي- الروسي في القوقاز، الحرب الروسية- الجورجية إنموذجاً، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، العدد ٩، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص ص٣٠٩-٣١٤.

٤٧- محمد حسون، إستراتيجية حلف الناتو الشرق اوسطية بعد انتهاء الحرب الباردة، مصدر سبق ذكره، ص ص٥١٨-٥٢١. وأيضا: عبد الحميد العيد الموساوي، التقارب الإستراتيجي بين إسرائيل وحلف الناتو، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد ١٢، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ص١١٧-١٢١.

ثانيا: تأثير الناتو على مستقبل الهرمية الدولية

ان الهرمية الدولية تؤشر ان العالم موزع حسب عوامل القوة إلى دول عظمى وأخرى دولية كبرى وأخرى إقليمية كبرى وأخرى إقليمية متوسطة وأخرى صغيرة، وأخرى صغيرة جدا، ولكن ما تغير في هذه التصنيفات ان عوامل القوة لا تعتمد على عوامل القوة التقليدية فحسب، انما اصبحت عوامل القوة غير التقليدية هي التي تطغى بتأثيراتها على الاطراف الدولية، وهو ما جعل بعض الدول الصغرى تمتلك تأثير اكبر من حجمها التقليدي في عوامل القوة، اما بالنسبة للقوى الكبرى في النظام الدولي فان تقدمها التكنولوجي والاقتصادي، ونظامها التعليمي وقواعد البحث والتطوير فيها، وجاذبيتها بالنسبة للكفاءات العلمية العالمية،.. كلها يجعلها قادرة على بلوغ مراتب متقدمة في عوامل القوة غير التقليدية.

واذا ما اتينا إلى تأثير الناتو المحتمل في الهرمية الدولية، فالواضح هنا ان هناك مسالتين:

-الاولى هي المتعلقة بكون الحلف لم يصل إلى الوحدة السياسية انما هو تنسيق وتعاون عسكري يفرض التزامات سياسية على الدول الاعضاء، ويبقى كل منها يتصرف وفقا لمصالحه الخاصة في بعض الاحيان الا ان الغالب هو تقديم التعاون السياسي مع التعاون العسكري.

-ومن ثم فان الامر، وهو الثاني، يجسد ان الناتو لا يمكن ان يرضى ان يتم الاعتداء على أي طرف اخر عضو فيه، ومن ثم فاننا هنا عمليا امام كيان واحد وليس ٢٨ كيان سياسي، ومن ثم فان حاصل جمع القدرات السابقة، تجعل الناتو يملك نحو ٦٠% من القدرات العسكرية العالمية، ونحو ٥٣% من القدرات الاقتصادية العلمية، ونحو ١٦% من القدرات السكانية عالميا، الا انه يملك نحو ٧٥% من قدرات البحث العلمي العالمية، ويملك نحو ٧٦% من القدرة المالية العالمية[٤٨]، فضلا عن امكانات لمراكز بحثية كبيرة ترصد كل اتجاهات التغير في المجتمع الدولي.

٤٨-قارن: نوار محمد ربيع الخيري، السياسة الدفاعية والعسكرية الأوروبية بين طموحات الاستقلالية ومحدودية التحرك المستقل، مجلة السياسية والدولية، العدد ١٠،الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٨، ص ص٩-١٥.

كل ما تقدم من قدرات، يؤشر ان الحلف يجعل الدول الاعضاء في قمة الهرم الدولي، وحتى لو فرضنا ان الدول الأخرى ستنمو قوتها بمعدلات مرتفعة قياسا إلى معدلات النمو لدى دول الناتو فانها لن تستطيع ان تصل إلى معدل قوة الناتو في الهرم الدولي، خلال المستقبل القريب ولا المتوسط، فمثلا الصين تنمو بمعدل يتراوح بين ٨-١٠% سنويا، وستكون اكبر من الولايات المتحدة في حجم الناتج المحلي الاجمالي عام ٢٠٢٥: ٢٣.٤ الف مليار دولار للصين مقابل ٢٣.١ الف مليار دولار للولايات المتحدة، في حين انه في حجم القوة العسكرية لا يتوقع ان تصل الصين إلى مستوى قدرة الولايات المتحدة الا بحدود منتصف القرن الحالي، فكيف الحال وان مع الولايات المتحدة قدرات ٢٧ دولة أخرى، هذا الامر يجعل التباين كبير بين قدرات الاطراف الأخرى مع الناتو.

ويضيف جوزيف ناي، مدير التخطيط الخارجي في وزارة الخارجية الأمريكية سابقا، إلى ان الولايات المتحدة تتمتع بجاذبية ومركز قوة مهم حتى وان تفوق عليها بعض الدول في عدة عوامل قوة، وجزء مهم من جاذبيتها هو نظام الاحلاف والشراكات الإستراتيجية التي تجمعها مع العالم الغربي، وبمركزية حلف الناتو[٤٩]. اي ان الناتو لوحده يمثل عامل فاعل في الهرمية الدولية.

ثالثا: تأثير الناتو على مستقبل ظاهرة الصراع الدولي

يعد الصراع الدولي جزء مهم من علم الإستراتيجية، كونه يثير موضوعات متعلقة بعوامل القوة والإستراتيجيات الوطنية للدول والانفاق العسكري والتسلح، وغيرها.

ان عالم ما بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة فتح بابا للصراع الدولي كان اكثر الباحثين قد توقع انه انغلق بنهاية الحرب الباردة عام ١٩٩١، ففي تلك الاحداث وما بعدها اتجهت الارادة الأمريكية لتنفيذ مشروع المحافظون الجدد في فرض الهيمنة الأمريكية عالميا، وبهذا الاتجاه تم حدوث تماس مع المصالح الروسية والصينية، مما

٤٩-جوزيف ناي، كيف قد يُضعِف ترامب أميركا، ترجمة: إبراهيم محمد علي، مؤسسة بروجيكت سنديكيت (Project Syndicate)، براغ (Czech Republic Prague 2)، في: ١٠ ايار ٢٠١٦.
https://www.project-syndicate.org/commentary/how-trump-weakens-america-by-joseph-s--nye-2016-05/arabic

دفع الاخيرتين إلى تنفيذ سلسلة من الاجراءات للتهيؤ للصراع الدولي القادم [٥٠]، فرفضتا برنامج الدرع الصاروخي لانه سيطلق برامج تسلح مرتفعة ومرهقة جدا، كما انهما رفضا احتلال العراق عام ٢٠٠٣ ورفضا مشروع الشرق الاوسط الكبير بنسخته الأمريكية : الاصلاح من الخارج، ورفضا احداث الربيع العربي، ورفضا حدثي اسقاط نظام الحكم في ليبيا والتدخل في الشان السوري، وتعرضت روسيا بسببه إلى عدة احداث اهمها الازمة مع جورجيا عام ٢٠٠٨ والازمة مع اوكرانيا عام ٢٠١٤ وانخفاض اسعار النفط عالميا[٥١].

واليوم، تشير التوقعات، ان التقاطع بين روسيا والولايات المتحدة هو الاعنف دوليا، لانه تسبب بان تقف مشاريع أمريكية دون القدرة على انجازها في النظام الإقليمي الشرق اوسطي وفي شرق اوروبا، ورغم ان توقعات الصدام المباشر بين الطرفين غير متوقعة الا ان الصراع سيرتفع مؤشراته، وسيكون اغلب الصراع يتم تصريفه عبر إستراتيجيات غير مباشرة وعبر حلفاء الولايات المتحدة على نحو يدفع روسيا للاستنزاف.

ومع مستهل صيف ٢٠١٦، اتجه حلف الناتو إلى اعتماد إستراتيجيات جديدة في التعامل مع ارتفاع مؤشر الصراع الدولي مع روسيا، ومنها رفع قدرات الناتو في بلدان البلطيق الثلاث وبولندا، في اشارة إلى ان الحلف يمكنه ان يعرض امن روسيا للتهديد عند اطراف روسيا، ناهيك بالطبع ان الحلف لديه قدرات ممتدة على اغلب حدود روسيا: أوروبا الشرقية والوسطى وتركيا واسيا الوسطى والقوقاز وافغانستان.

اما بشان الصين، فالواضح ان قدرات الصين تنمو ضمن معدلات اعتيادية يعكسها نسبة الانفاق العسكري إلى حجم الناتج المحلي الاجمالي الصيني، والى حجم التحديات التي تعترض مصالح الصين في بحر الصين الجنوبي، الا ان نمو قوة الصين بالمعدلات الحالية

٥٠–عدنان السيد حسين، التوسع الأطلسي، مصدر سبق ذكره، ص ص١٨٩–١٩٢.

٥١–شذى زكي حسن، حلف شمال الأطلسي والتوازنات الإقليمية في الشرق الاوسط، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٤٥، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤، ص ص٩٩–١١٠.

(وهو نمو مرتفع قياسا الى نمو ناتجها المحلي) اصبح يدق ناقوس خطر في الإستراتيجيات الأمريكية كون الصين يمكن ان تتصرف بطريقة تراعي مصالحها فقط ولا تراعي مصالح الولايات المتحدة والغرب في شرق اسيا، بل وفي اسيا ككل. لكن، اغلب الإستراتيجيين الأمريكان يضع الصين كعدو محتمل يمكن ان يشكل خطر مع نهايات العقد الثلاثيني من هذا القرن، كون قوة الصين تكون قد ترسخت بشكل اكبر، واصبحت تعي ان على الولايات المتحدة ان تعطي الصين مساحة اكبر في التعامل مع مصالحها الوطنية في بحر الصين[٥٢]

وهكذا يبدو، ان الناتو يمارس تأثيره في النظام الدولي، وسيمارس تأثيره مستقبلا باتجاهات متعددة في النظام الدولي.

الخاتمة:

بينا في هذا البحث ان الاحلاف الدولية هي ظاهرة ليست حديثة في العلاقات الدولية، الا ان ما يميز تأثيرها اليوم انها ظاهرة تترافق مع اتجاهات حادة لانتشار القوة في النظام الدولي.

واليوم يوجد ثلاثة انواع من التحالفات، الاولى التحالفات المتعددة الاطراف الدائمة مثل حلف الناتو، والأخرى تحالفات مؤقتة ومثالها تحالف الراغبين في الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ والتحالف الدولي ضد الارهاب نهاية عام ٢٠١٤، وهناك تحالفا ثنائية ومثاله ما يربط الولايات المتحدة بدول عدة ومنها مع اليابان ومع كوريا الجنوبية ومع اسرائيل وغيرها.

ما يهمنا هنا هو حلف الناتو بوصفه ظاهرة مهمة في العلاقات الدولية، ظهرت واستمرت واتسع نطاقها، واصبح الحلف معبرا عن ظاهرة دينامية، فهو حلف جامع لاهم القوى الكبرى في العالم الا وهي القوى الغربية.

٥٢–علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة، مصدر سبق ذكره، ص ص٧٦–٧٩. وأيضا:

saloni salil, china's strategy in the south china sea, role of the united states and india, New Delhi, Centre for Air Power Studies, 2012, pp: 9-11.

في هذا البحث استطعنا ان نثبت مضمون الفرضية التي انطلقنا منها والمتعلقة بكون الناتو يسهم باحداث تغيرات في النظام الدولي، تراعي مصالح الغرب، وبذلك فمن غير المتصور ان تظهر قوة أخرى تكون قادرة على منافسة الغرب في النظام الدولي، رغم ان هناك قوى ناهضة مثل الصين وأخرى ترغب باستعادة امجاد سابقة مثل روسيا، في ظل هذا العالم فان الحلف يعطي دوله الاعضاء مرونة كبيرة في علاقات القوى وفي النظام الدولي.

وفي الختام، فان اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث هي:

١-ان هناك تحول مهم في علاقات القوة في النظام الدولي، بعيدا عن عوامل القوة التقليدية وباتجاه تعظيم قدرات تاثير العوامل غير التقليدية في علاقات القوة.

٢-ان عوامل القوة تشهد انتشار واسع بين دول العالم، الا انه يبقى اغلبها يتركز لدى الدول الغربية وتحديدا بين الدول المنضوية في حلف الناتو.

٣-ان حلف الناتو اتجه الى احداث مراجعة مهمة له عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠٤ انتهت الى اقرار البقاء والاتجاه الى التوسع شرقا والى تغير نطاق عمله الجغرافي من كونه قوة دفاع الى كونه قوة تحافظ على مصالح اعضاءها، وذلك عام ١٩٩٩، وفي عام ٢٠٠٤ انتهت دول الناتو الى ايجاد اليات لتسوية الخلافات بين دوله الاعضاء بشان المواقف من احداث وازمات دولية والى اقرار مبدأ المشاركة مع دول اخرى خارج الناتو تتيح منح الناتو مرونة في الحركة الدولية.

٤-ويمتلك الناتو اليوم قدرات تؤهله لان يبقى في مركز متقدم في علاقات القوة دوليا استنادا الى عوامل القوة التي يمتلكها اعضاءه والى المشكلات التي يعاني منها خصومه ومنافسيه.

٥-ان التوقعات تشير الى ان الناتو سيبقى قوة مهمة في التوازنات التي يمكن ان تظهر في العقود القادمة، وفي اي علاقة صراع دولي او اقليمي، وسيبقى بهذا الوصف اهم مؤسسة تدعم قواه في تعزيز مكانتها في النظام الدولي.

الملخص:

تأثير حلف الناتو على مستقبل النظام الدولي

عدت الاحلاف واحدة من اهم المتغيرات المؤثرة على النظام الدولي، بحكم انها تعمل على تجميع عوامل القوة في اطار منظور للامن الجماعي للدول الاعضاء، وبما يؤثر على توازن القوة في اطار النظام الدولي العام أو النظم الإقليمية الفرعية.

وحلف الناتو واحد من اهم الاحلاف العالمية المعاصرة، التي اتجهت لتستوعب التحولات في بنية عالم ما بعد الحرب الباردة، واصبحت الدول الاعضاء تتطلع لان تستثمره لكي يكون لاعبا مهما في النظام الدولي.

Abstract:

NATO Impact on the Future of the International System

Alignments was considered as one of the most influential variables in the international system, by virtue of it is working on assembling the force factors as part of the perspective of the collective security of the member states ، that affecting the balance of power in the framework of international public system or sub- regional systems.

NATO is one of the most important contemporary scientific alliances ،which tended to accommodate the shifts in the structure of the post-Cold War and the member states looks to invest ،in order to be an important player in the international system.